الجامعة المستنصرية – كلية الآداب
قسم الفلسفة – الدراسة الصباحية

المرحلة الرابعة / علم الكلام

م.م. حاتم كريم مجيد

حدوث العالم عند القاضي عبد الجبار المعتزلي

حاول المعتزلة اثبات خلق العالم وحدوثه بصياغة الاستدلال على ضوء المفهوم المبدئي للتوحيد ، وان العالم عند اغلب مفكري الاسلام وخاصة المتكلمين منهم محدث لاقديم ، لأنه اذا كان قديما فقد انتفت القدرة الالهية في خلقه وايجاده ، بالاضافة الى معارضة هذا القدم لمبدأ اخر وهو انه لايجوز اثبات قديم مع الله ، والا كان شركا ، فالله مطلق الوحدانية .

وعرف القاضي القديم بأنه الذي لا اول لوجوده ، والمحدث بأنه اسم لموجود سبقه عدم مفيدا ان محدثا احدثه مع قرب ايجاده له .

واشار القاضي ان الله هو محدث العالم باعتبار ان لكل محدث (مفعول) محدثا (فاعلا) احدثه ، ويتفق القاضي مع اغلب المتكلمين في رفض ان يكون الله (علة) العالم ، لان من شأن العلة ان تقارن او تساوق معلولها ، فأذا وصف الله بأنه علة العالم ، وبأن العالم معلول له ، فأن ذلك يؤدي الى القول بقدم العالم ، وهذه نقطة خلاف جوهرية بين الفلاسفة والمتكلمين على وجه العموم ، لذلك رفض القاضي ، وسائر المتكلمين ، ان يكون الله قد خلق العالم او احدثه بالطبع ، لانه لو كان كذلك لكان العالم قديما لان المعلول لايتراخى عن العلة ، ولكنه تعالى قد احدثه بأرادته .

وقد اختلف المتكلمين في الدليل على حدوث العالم وذهب بعضهم الى انه لايستدل على ذلك الا بالقران ، وذهب معظم مفكري الاسلام الى جواز الاستدلال على ذلك بالعقل والسمع ، لكن المعتزلة يرون ان الدليل على حدوث العالم لايكون الا عقلا لأن صحة السمع تترتب عليه ، فعن طريق معرفتنا حدوث العالم نعلم ان له محدثا هو الله ، ثم نعلم صحة ما انزله على عباده من تكاليف ، واشهر دليل لديهم على حدوث الاجسام قولهم ((ان الاجسام لاتنفك عن الحوادث ولاتتقدمها ، ولذلك كانت محدثة مثلها))

وأول من استدل على حدوث الاجسام من المتكلمين هو ابو الهذيل العلاف ويستند دليل ابي الهذيل على قضايا ثلاثة :

١ – ما لاينفك عن الحوادث فهو حادث .

٢ – الاجسام لاتنفك عن الاعراض والاكوان كالاجتماع والافتراق والحركة والسكون .

٣ – الاعراض عارضة زائلة وكذلك الاكوان متغيرة ، وكل ماكان كذلك فهو حادث اذن الاجسام محدثة .

وبما ان الدليل يعتمد على حدوث الاعراض ، فلابد من معرفة ادلتهم على حدوثها ، وتتلخص هذه الادلة بما يلي :

١ – ان الاعراض في حاجة الى محدث ، وهذا يلاحظ من حاجة افعالنا الينا ، وماهو ليس من قدرتنا من الاعراض فهو محدث من الله .

٢ – ان الاعراض يجوز عليها العدم والبطلان ، والقديم لايجوز عليه ذلك ، ويلاحظ هذا بالمشاهدة ، فالمجتمع اذا افترق بطل اجتماعه ، والمتحرك اذا سكن بطلت حركته .

٣ – ان الاعراض تتجدد على الجسم ، وهذا يدل حدوثها ، لانه لابد من تجدد امر مؤثر في ذلك وهذا الامر هو الحدوث .

٤ – الاعراض تشتمل على المختلف والمتماثل والمتضاد ، والقديم لايصح على ذلك .

٥ – لو كان الاعراض قديمة لوجب في الصفات الصادرة عنها ان تكون واجبة فيما لم يزل ، وهذا لايصح .

٦ – يضاف الى ذلك حاجة الاعراض الى محال محدثة ، فذلك ابلغ دليل على حدوثها .

لايختلف دليل القاضي على الحدوث عن العلاف ، وانه يؤكد القول على استحالة ان تنفك الاجسام عن الاعراض والاكوان ردا على القائلين بقدم العالم من اصحاب الهيولى ، مادام مستندهم في دعواهم قدم العالم تصور مادة اولى قديمة سموها الهيولى او الطينة معراة عن الصورة او جسم خال من الاعراض والاكوان ، فلما لم نجد في الشاهد ذلك لم يجز ان يكون ذلك في الغائب ، ومن ثم فأن الاجسام لاتنفك عن الاعراض ، وان كانت القضايا الاساسية في هذا الدليل لاتعبر عن اصالة القاضي لانها مستقاة من العلاف .